الفصل الثاني

١- إلا المعصـــــوم

٢- إيقـــاظ الإيمـــان

٣- اصطفاء وانتقـــاء

٤- انفـــراد وتجـــرد

١ - إلا المعصوم

عرفنا المصادر التي نستقي منها أدلة الأحكام الشرعية[١]، ونسمها للمصادر التي لا تصلح لذلك[٢]، ثم تَبَيَّنَ لنا أهمية احترام رأي الإمام ومكانه في ترجيح ما يحتمل وجوهًا عِدَّة وفي تقدير المصالح المرسلة[٣].

ومقالتنا هذه تعتني بمسألة: مَن الذي يُؤخَذ بقوله إلزامًا والتزامًا؟ ومَن الذي يُؤخَذ من قوله ويُتْرَك؟

العصمة حفظ الظاهر والباطن:

لا يُؤخَذُ قول أحد إلزامًا والتزامًا إلا أن يكون معصومًا مِنَ الخطأ، والعصمة تعني بها حفظ الظاهر وحفظ الباطن، وإذا كان المرء يستطيع أن يستدل على بقاء ظاهر الإنسان بالملاحظة، فإنه يبقى استدلالاً مشكوكًا فيه، فيستحيل أن تستغرق الملاحظة كل حركات الإنسان وسكناته.

الباطن لا يُعْرَفُ إلا بالوحي:

هذا في الظاهر، فما بالنا بالباطن الذي لا سبيل لمعرفته إلا بالوحي، وقد قَبِل رسول الله ﷺ مِنَ الذين تخلفوا عن الغزو معه علانيتهم حين اعتذروا، ووكَّل باطنهم إلى الله ﷻ، يقول كعب بن مالك رضي الله عنه: .. وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا

١- للتفصيل يراجع موضوعا (الوحي مرجعا)، و(بلا تكلف)، بالباب الثاني من الجزء الرابع من هذه السلسلة

٢- للتفصيل يراجع موضوعا (خطر الخواطر)، و(فتوى الأحلام)، بالباب الثاني من الجزء الرابع من هذه السلسلة

٣- المرسلة: أي لم يهدرها الشرع فحرمها، ولم يعتبرها فرضها، راجع ص ١٣١ من هذا الجزء.

فَعَلَ ذَلِكَ جَاءهُ الْمُحَلِّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ [البخاري، من الحديث ٦٦ ٤]

لا عصمة إلا لنبي

والبشر بطبيعتهم يخطئون ويصيبون، وقد يوافق قولهم الحق وقد يجانبه، لكن أنبياء الله المعصومين لهداية خلقه، عصمهم ﷺ من الزلل، وشهد ربنا ﷻ لنبيه محمد ﷺ أنه لا ينطق عن الهوى[1]، قال ﷻ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2]، فما طلب فعله فعلناه، وما طلب تركه تركناه، قال ﷻ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا..﴾[3]، لذلك د . ما صح إسناده إلى رسول الله ﷺ من قَوْل هو الذي يُوحد به إلزامًا والتزامًا، ولا يترك منه شيء تفريطًا أو إهمالاً، ولهذا قيل: [وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ. وكل ما جاء عن السلف[4] -رضوان الله تعالى عليهم- موافقا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ أولى بالاتباع، ولكنا لا نعرض للأشخاص فيما اختُلِفَ فيه بطعن أو تجريح ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا][5].

موافقة الوحي ميزان القبول

لا شك أن صحابة رسول الله ﷺ هم أولى الناس بفقه هذا الدين[6]، لذلك

١- د. عبد المنعم تعلب، البيعة، ص ٣٧، الطبعة الثالثة، بتصرف يسير

٢- الآيتان ٣،٤ من سورة النجم.

٣- من الآية ٧ من سورة الحشر

٤- السلف هم القرون الثلاثة الأولى لرسالة محمد ﷺ، وتنتهي تقريبًا برأس المائة الحادية المأمون

٥- حسن البنا، مجموعة الرسائل، ط. المؤسسة الإسلامية ١٩٩٢ م

٦- الفقه لغة هو عمق الفهم أو الفهم العميق، وليس المراد فقط الأحكام

وأفهامهم وتفسيراتهم وأعمالهم لها قيمة معتبرة في إرشادنا، قال ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]، فهؤلاء هم سلفنا الصالح، لذلك نقل ما جاء عنهم ما وافق الوحي: كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، فموافقة الوحي ميزان القبول، فعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّه عَنْهَا- أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال. «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ» [البخاري، الحديث ٢٤٩٩]، وفي رواية عنها أيضًا -رضي الله عنها- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ. «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» [مسلم، الحديث ٣٢٤٣].

سَلَفِيَّتُكَ الاتباع بإحسان:

اتباع الخَلَف للسلف بإحسان يجعلهم سلفيين، فليست السلفية زمان ينتهي عند الخليفة المأمون، ولا يحتكرها علماء دون علماء، فالإمام أحمد بن حنبل مِنَ السلف، وهناك فقهاء حالفوه، وهم سلف سبقوه أو عاصروه، كما أن السلفية ليست في الاكتفاء بالنص واستبعاد الرأي والاجتهاد، فالإمام أبو حنيفة مِنَ السلف الذين أثروا مدرسة الرأي والاجتهاد

إن السلفية هي صدق الاتباع بإحسان، اتباع يورث عاطفة تربط بخير القرون، ويثمر إيمانًا مستمدًّا مِنَ الوحي، ولا يعتمد على الفلسفة وعلم الكلام، ويصحح العبادة لتقوم على الشمول والسمو، وينتج حركة صحيحة في تعريف الناس بالإسلام، وفي تكوين الأفراد بمقتضاه، وفي تمهيد إعادة المرجعية لشرع الله بين الناس.

١- الآية ١٠٠ من سورة التوبة

وإذا جاء عالم من العلماء بهذا التصور في أي زمان وفي أي مكان وبأية لغة يعبر بها عن هذا المنهج كان سلفيًّا، عقيدة وعبادة وحركة، طالما أنه يقدم مفاهيم السلف الصالح ويتمسك بسنة الخلفاء الراشدين[1]

لا نعْرِض للأشخاص:

ومن الأدب أن لا نعرض لأشخاص سلفنا الصالح فيما اختُلف فيه بطعن أو تجريح، بل نكون كالحسن البصري الذي قال فيهم: اجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فتوقفنا، ذلك بأنهم شهدوا وغبنا، وعلموا وجهلنا.

*****

١- جمعة أمين، فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين، ص ٩٩، ط دار الدعوة ١٩٩٠م

٢- إيقاظ الإيمان

إن كلمة الإيمان تدل على أعمال قلبية، خاصة إذا ما ذُكِرَت مع الإسلام، وقد روى الفاروق ﷺ ما يدل على ذلك، في حديث روى فيه أسئلة الرائر العريب، قَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّاب ﷺ: .. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ صَدَقْتَ.. [مسلم، من الحديث ٩]

الناس يتفاوتون في قوة الإيمان.

بعض الناس إيمانه قوي، والبعض منهم إيمانه ضعيف، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ.» [مسلم، من الحديث ٧]، لهذا يتفاوت الناس في قوة الإيمان.

إيمان الفرد قد يزيد، وقد ينقص:

والفرد الواحد من الناس يتفاوت إيمانه من حال إلى حال، قد ينقص إيمان الفرد إن تلبَّس بأحوال المعاصي، وقد يزيد إيمانه إن انخرط في أحوال من الطاعة[1]، فعَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ -وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ- قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا[2] الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ

١- يراجع موضوع (تحليل بحدد الإيمان)، ص ١٣٦ من هذا الكتاب.

٢- عافسنا حالطنا ولاعبنا

وَالصَّيْعَات[1]، فَسيَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالصَّيْعَاتِ نَسِيَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلاَثَ مَرَّاتٍ [مسلم، من الحديث ٤٩٣٧]

البعض إيمانه يقظ والبعض إيمانه مخدر:

الإيمان عمل نفسي يبلع أعوار النفس ويحيط بحواسها كلها، من إدراك ووجدان وإرادة[2].

فالإيمان يُقنع العقل ويُطمئنه، هذا إذا نَفَذَت العقيدة إلى الذهن والإدراك، أو إلى العقل لتنيره بنور الوحي، وبهذا يتحقق يقين حازم ومعرفة تُفهم بها حقائق الوجود.

والإيمان يهز القلب ويحركه، فحين تنفذ العقيدة إلى القلب والوجدان تثمر المعرفة إذعانًا ورضا وتسليمًا.

والإيمان يدفع الإرادة ويوجهها، فحين تتصافر أنوار العقل مع حرارة الوجدان تستجيب الجوارح وتندفع إلى العمل، في استجابة تشبه استجابة الرعية للراعي الصالح.

١- الصيعات: ما يكون للمرء لحياته ومعيشته

٢- د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مصرف

هذا هو الإيمان اليقظ القوي، أمَّا إيمان الذين لا يعملون على حكم الله ﷻ ولا يعملون بمقتضاه، فهو إيمان نائم محذَّر

فوائد إيقاظ الإيمان سبع:

تَدَبُّرُ القرآن الكريم هو السبيل الأول أو الفائدة الأولى لإيقاظ الإيمان؛ وقد حثنا الله ﷻ على تدبر القرآن، فقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2]، وقد كان هذا هو شأن رسول الله ﷺ، فعن أبي ذرٍّ ﷺ أنه قال: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ بِآيَةٍ، وَالآيَةُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3] [النسائي، الحديث ١٠٠٠]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «نَعَمْ» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[4] قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. [البخاري، الحديث ٤٦٦٢]

والتفكر في خلق الله ﷻ فائدة ثانية، فكما أنَّ لله ﷻ كتابًا مقروءًا متلوًّا هو القرآن الكريم، فإنَّ له ﷻ كتابًا منظورًا مشهودًا وهو الكون المخلوق، وقراءة صفحات هذا الكتاب تكون بعبادة التفكر، وهذه العبادة أيضًا توقظ الإيمان، قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي

١- الآية ٨٢ من سورة النساء
٢- الآية ٢٤ من سورة محمد
٣- الآية ١١٨ من سورة المائدة
٤- الآية ٤١ من سورة النساء

الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾[1]

ودراسة النفس والنواميس التي وضعها الله ﷻ لحياة البشر فائدة ثالثة من فوائد إيقاظ الإيمان، وقد طلب الله ﷻ ذلك، فقال ﷻ: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[2]، وقال ﷻ ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾[3]، وقال ﷻ ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾[4].

وتأمل نعم الله ﷻ وتعدادها فائدة رابعة من فوائد إيقاظ الإيمان، فمعلوم أن نعم الله ﷻ عليها لا تحصى، ومقتضى هذا أنا لو أجدنا في تعدادها ما توقفنا عند حد، إلا أن النفس قد يصعب عليها ذكر مزيد من النعم، وما ذلك إلا لأنه تعود أن يرى الله ﷻ في أمور ولم يتعود أن يبحث عنه ﷻ في أمور أخرى، ولو تعود المرء أن يبحث عن الله ﷻ في كل أمر لشعر بصدق قوله ﷻ: ﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾[5]، عند ذلك يستيقظ إيمان الإنسان، ويزيد هذا الإيمان كلما رأى نعمة الله ﷻ في شيء لم يكن يلتفت إليه من قبل، لذلك فتأمل نعمة الله ﷻ وتعدادها سبب من أسباب إيقاظ الإيمان.

والاستكثار من الشعائر والالتفات إلى أسرارها فائدة خامسة من فوائد إيقاظ الإيمان، فنحن نعلم أن كل عمل يراد به وجه الله ﷻ ويؤدى مما يرضيه

١- الآيتان ١٩٠، ١٩١ من سورة آل عمران
٢- الآية ١٣٧ من سورة آل عمران
٣- الآية ٦٢ من سورة الأحزاب
٤- الآية ٢٣ من سورة الفتح
٥- الآية ٣٤ من سورة إبراهيم

ﷻ يكون عبادة، لذلك تتعدى العبادة في الإسلام الشعائر إلى المعاملات، بل وحتى العادات، إلا أن الشعائر يبقى لها مذاقها الإيماني الخاص، حتى شاع إطلاق لفظ العبادات على الشعائر أكثر من غيرها، ولكل شعيرة أسرار ومعان دفينة، والاستكثار من هذه الشعائر، والالتفات إلى أسرارها، والمواظبة عليها وأداؤها بخشوع وحضور قلب سبب من أسباب إيقاظ الإيمان.

ومصارعة الباطل بالحق بادرة سادسة من بوادر إيقاظ الإيمان، فعندما يقف الإنسان مناصرًا للحق، فإن اعتماده وتوكله على الله ﷻ يزيد، وفي هذا إيقاظ لإيمانه وزيادة فيه، وكلما واجه المؤمن أهل الباطل مُصِرًّا على الحق، كلما زاد إيمانه، وقد كان هذا شأن صحابة رسول الله ﷺ، فقد قال ﷻ في كتابه العزيز ﴿الذين قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[2].

وتذكر الموت وأحوال الآخرة بادرة سابعة من بوادر إيقاظ الإيمان، وقد بيَّن رسول الله ﷺ ذلك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ» [مسلم، الحديث ١٦٢٢]، وقد ورد في حديث حنظلة ﷺ المذكور ما لذكر الجنة والنار من أثر في الارتقاء بالإيمان.

١- الآية ١٧٣ من سورة آل عمران

٢- الآية ٢٢ من سورة الأحزاب

دورك العملي.

يسعى أن يعزم المرء ما على فتح نوافذ الإيمان هذه دوريًا، فلا يستغني عن غير أي منها، وكلما فتح نافذة من هذه النوافذ، ضاع خاطرة عنها، قد تكون هذه الخاطرة شفوية محفوظة، وقد تكون مكتوبة أو مسجلة، ولكي تزداد الاستفادة تجتهد طوال اليوم الذي فتحنا فيه النافذة أو طوال اليوم التالي له في نقل هذه الخاطرة إلى كل من تقابل قدر الإمكان، فنقل هذه الخواطر للأهل والجيران، وللزملاء والأصدقاء يفيد في زيادة تفاعل قلوبنا بها، ثم أنه يُضيف إلى ميزان حسناتنا، وأخيرًا قد يوقظ إيمان السامعين، ولكل ما قدرته، فمن استطاع أن يستوفي فتح النوافذ السبع عبر الأسبوع الواحد فقد حقق الهدف المراد، ومن لم يستطع فليتدرج بنفسه، بشرط أن يدور على هذه النوافذ على التوالي حتى لا ينسى إحداها

هذا وإن مطالعة سِيَر شهداء الإسلام في عصر النبوة، وقصص الدعاة إلى الإسلام الذين ثبتوا أمام أهل الباطل من الأمور التي تهيئ الوجدان لقبول الصبر على تكاليف نصرة الحق

هذا وقد ألحقنا بآخر هذا الجزء من الكتاب[1] مُلحقًا به دليل للآيات الكريمات من القرآن الكريم، المتضمنة للنواميس والسنن التي تجري عليها حياة البشر، وكذلك دليل للآيات التي تضمنت وصفًا للقيامة وللجنة وللنار، فلستعن بذلك في إيقاظ الإيمان.

*****

١- انظر ص ٢١٩

٣- اصطفاء وانتقاء

يَمُنُّ الله ﷻ على أساء الإسلام، فيقول ﷻ: ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا..﴾[1]، وبالرغم من أنّ أخوة الإسلام ترتبط بنا جميعًا نحن المسلمين، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..﴾[2]، إلا أنه ليس كل مَن نتعرف عليه يصلح أن نصطفيه لصداقتنا، أو ننتقيه لصحبتنا، إنما كأفراد نصطفي لصداقتنا ونتقي لصحبتنا مَن نريد، فالإنسان وإن فُرِضَ عليه أنواه وأشقاؤه وأقاربه بغير اختيار، فإنه يختار لصداقته وصحبته من يشاء بكامل إرادته، فلنحسن الاختيار.

كونوا عباد الله إخوانًا:

يقول النبي الكريم ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا[3]، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا" [البخاري، الحديث ٦٢٢٩] وفهم الصحابة ﷺ هذا المعنى الأحوي، وأملت عليهم عقيدتهم أجلد عواطف الحب والتآلف، وأسل مظاهر الأخوة و التعارف، فلما تآلفت قلوبهم؛ امتن الله ﷻ عليهم بذلك في كتابه، فقال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4].

١- من الآية ١٠٣ من سورة آل عمران

٢- من الآية ١٠ من سورة الحجرات

٣- التحسس: تتبع أخبار الناس والاستماع إلى عوراتهم، والتجسس: البحث عن عيوب الناس وعوراتهم والتباغض الكراهية، والتدابر المعاداة والمقاطعة

٤- الآية ٦٣ من سورة الأنفال

مِنَ الصحابة ﷺ أصدقاء:

لم يكتف الصحابة ﷺ برابطة الأخوة الإسلامية العامة، فاصطفى بعضهم من إخوانه لنفسه أصدقاء، فعَنْ أَبِي سَلَمَةَ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَا سَعِيدٌ - وَكَانَ لِي صَدِيقًا - فَقَالَ: اعْتَكَفْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ [البخاري، من الحديث ١٨٧٧]

وأهدى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - إلى أعرابي حمارًا وعمامة، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: .. غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرْوَحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ!! فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ: صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ» وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ. [مسلم، من الحديث ٤٦٣١]

وكذلك كان التابعون، يقول أبو إسحاق[1]: أَتَيْتُ الأَسْوَدَ بن يَزِيدَ وَكَانَ لِي أَخًا صَدِيقًا، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَمْرٍو، حَدِّثْنِي مَا حَدَّثَتْكَ بِهِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ صَلاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَتْ: كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيُحْيِي آخِرَهُ. [البخاري، من الحديث ١٦٢٢]

مِنَ الصحابيات صديقات:

وكان نساء الصحابة ﷺ مثل رجالهم في ذلك، فعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلا

١- هو عمرو بن عبد الله بن عبد، من التابعين، توفي سنة ١٢٨ هجرية.

حَدِيثَهُ! فَيَقُولُ "إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ" [البخاري، الحديث ٣٥٣٤]

وكتب ابن شهاب[1] قَالَ. حَدَّثَنِي هِنْدُ ستُ الْحَارِثِ الْفِرَاسِيَّةُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - وَكَانَتْ مِنْ صَوَاحِبَاتِهَا - قَالَتْ كَانَ يُسَلِّمُ فَيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ فَيَدْخُلْنَ بُيُوتَهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْصَرِفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [البخاري، من الحديث ٨٣٢]

الانتقاء يقي من المفاسد

وأكّد النبي ﷺ على ضرورة انتقاء واصطفاء الصاحب، إذ يقول ﷺ "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ[2]، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ[3]، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ[4] وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً" [البخاري، الحديث ٥٥١٨]

لنختر للإسلام أوعية:

تكرر في هذا الكتاب إرشاد القارئ إلى طلب الثواب عن طريق تبليغ الغير بالفوائد المعرفية والعملية التي تناولها، ولمّا كانت كلها مستقاة من الكتاب والسنة؛ فإن هذا النقل أو التبليغ يُعَدُّ دعوة إلى الإسلام، والشخص الذي ينقل إليه أو يبلغه يُعتبر وعاءً للإسلام، وإذا كنا ننتقي للنفس صاحبًا أو رفيقًا، فمن باب أولى أن ننتقي للإسلام أوعيته، خاصة وأن منهم مَن قد يحمل هذه الفوائد الإسلامية علمًا وعملاً وتبليغًا ويصير هو صاحبها وحارسها، لذلك ننتقي للإسلام، ونصطفي لدعوتنا وكلماتنا.

١- هو محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري، من التابعين، توفي سنة ١٢٤ هجرية

٢- وفي رواية مسلم، الحديث ٤٧٦٢ والجليس السوء

٣- الكير آلة لنفخ النار وإشعالها

٤- يحذيك يعطيك

ينتقي الراغب في الالتزام قبل الراهد فيه، ويصطفي المحب للانتماء لا الشارد، ويفضل مَن لديه وقت يعطيه لديه على المشغول عنه، ويأمل في الأصغر سنًّا عن الطاعن في العمر، كما يركز على مَن يتيسر لنا كثرة لقائه، عسى أن تتجمع لديه الفوائد.

*****

٤- انفراد وتجرد

بُعِثَ الناس مرعوبين بصيحة شقت الأرض[١]، وتوافدوا إلى المحشر: السابقون ركبانًا، والتاحون مشاة، والمجرمون على وجوههم[٢]، فمروا جميعًا لله الواحد القهار لا يخفى على الله منهم شيء[٣]، وها وحد كل إنسان نفسه منفردًا، متجردًا من كل ما كان له، حالي الوفاض

حشتَ الآن فردًا.

خلق الله ﷻ البشر فرادى، وانفصم كل فرد للحياة الدنيا في موعد خاص به، وظروف خاصة به، ثم اتصل الفرد بغيره خلال الحياة الدنيا، فعرف الأم والأب، وتعرف على الأخ والأخت، واتحد الأصدقاء، ولقي الجيران، ووصل الأقارب، ورافق الصحاب، وعمل مع الزملاء، وارتبط بزوج

وإذا مات الفرد انقطع اتصاله بغيره، حتى يُبعث؛ فيعود إلى الله ﷻ فردًا، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ..﴾[٤]

فهلا تذكر الفرد ما حين يجتمع بغيره، تلك اللحظة التي سينفصل فيها عنه، لا بقول لحظات التباعد والافتراق في الدنيا، لكنها بعني لحظة الانفراد يوم البعث

وفقدتَ كل ما كان لك

وإن كان ترك الفرد وحيدًا أمرًا عسيرًا على مشاعره، فإن فقده لكل ما كان له هو أكثر عسرًا، فإنه بذلك يشعر بالعجز عن أي شيء، فليس معه شيء،

١- للتفصيل، راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب، ط ٣.

٢ - للتفصيل، راجع الجزء الثالث من هذا الكتاب، ط٣

٣ - للتفصيل، راجع الجزء الرابع من هذا الكتاب، ط٣

٤- من الآية ٩٤ من سورة الأنعام

ترك وراءه المال والزينة، والأولاد والمتاع، والجاه والسلطان، وما عاد يقدر على شيء، قال ﷻ ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾[1]

فهلا تذكّر كل منا عندما يصله مال لينفقه، أو منع يدحر منه، أنه تاركه وراء ظهره يومًا ما، وهل تذكر كل ذي سلطة على غيره -حين يمارسها- أنه تاركها وراء ظهره، ولن يقدر مستقبلاً على مثلها، ولا على ما هو أقل منها

ولا حتى لباس يسترك.

وتدرك أنه تجرد كامل، حين تعلم أنه لن يكون على الإنسان ما ولا حتى لباس يستره، فعن أم المؤمنين عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّه عَنْهَا- قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً[2]" ، قُلْتُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ!!، قَالَ ﷺ "يَا عَائِشَةُ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ" [مسلم، الحديث ٥١٠٢]

فهلا تذكرنا هذا الموقف كلما اشتريا ما نلبس، أو كلما ارتدينا ما نقتني، أو كلما نظرنا في المرآة نرقب زينتنا

خاطرة لعيرنا:

هذه المعاني يحتاجها أكثر الناس الذين نعرفهم، فلْنتَّخِذْ لأنفسنا واجبًا عمليًّا إضافيًّا، ألا وهو نقل هذه الخواطر إلى عيرنا، مرة ننقلها إلى شخص من الأهل أو الأقارب، ومرة ننقلها إلى فرد من الحيران أو الرملاء، فلعل إيمانا ينقى يقظًا، ولعل هذه الخاطرة توقظ في العير إيمانه، فتُضاف إلى ميزان حسناتنا.

١- من الآية ٩٤ من سورة الأنعام

٢ - عُرلاً غير مختونين